د. عائشة عبد العزيز محمد التهامى (*)

شاهد قبر أحد قضاة مصر فى العصر العثمانى

مما لاشك فيه أن دراسة شواهد القبور الإسلامية ، كشفت النقاب عن أهميتها الكبرى فى علم الآثار ، حيث أنها تُعد بحق توثيقًا تاريخيًا وتسجيلاً أثريًا ، لكل بلد من بلدان العالم ، وكل قطر من أقطار الإسلام ، ومن ثم فهى أصدق قيلاً وأقوى دليلاً ، فى تمثيل حضارة كل عصر من العصور الإسلامية بجميع أحداثه السياسية ، وجوانبه الاجتماعية ودلالاته الدينية (١).

وقد تميزت مصر على مر حقبها التاريخية وعصورها الإسلامية ، بكثرة ما عُثر عليه من شواهد قبور(٢) بباطن أرضها ونتاج حفائرها . تلك الشواهد هى الألواح الحجرية أو القوائم الرخامية التى توضع فوق التركيبة للدلالة على من يرقد فى هذا القبر ، أو للإشارة إلى من دُفن فى هذا اللحد ، وكما هو معلوم لدينا أن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، يحتفظ بأقدم شاهد قبر من الحجر الجيرى ، نقش عليه كتابة باسم ابن حجر ، ومؤرخ سنة ٣١هـ ، وهو يمثل أقدم كتابة على الحجر كشاهد قبر فى مصر الإسلامية (٣).

وعلى الرغم من إجماع آراء الفقهاء ، واتفاق أغلبية العلماء ، على كراهية الإسراف فى تشييد شواهد القبور من حيث النقش عليها خطيًا ، والتأنق بها زخرفيًا ، غير أن المسلمين للأسف لم يلتزموا بما رسمه لهم علماء الإسلام ، ولم يتبعوا ما أفتى به فقهاء الدين ، بل على العكس زادت عنايتهم بزخرفة هذه الشواهد(٤) ، بالعناصر النباتية والخطوط الكتابية والرسوم الهندسية .

---

* كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادى .

ومما يحسب لهم ، أنها تعد بحق – بما نقش على ألواحها ، وكتب على تراكيبها – سجلاً حافلاً بالأحداث التاريخية ، والحياة السياسية ، والمكانة الاجتماعية ، والأوضاع الاقتصادية ، والنصوص التذكارية ، والعبارات الدعائية ، والألقاب الفخرية ، والأنساب العائلية ، ومن ثم انعكس كل هذا على الأساليب الفنية (٥).

ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بمجموعة كبيرة من شواهد القبور الإسلامية التي ترجع إلى عصور مختلفة ، بينما يظهر جليًا واضحًا التأنق الزخرفي ، والثراء المادي في تلك الألواح الرخامية(٦) لشواهد القبور العثمانية .

وخير ما يحتفظ به متحف الفن الإسلامي بالقاهرة من تلك الشواهد العثمانية ، هو ذلك الشاهد الرخامي ، الذي أتناوله بالدراسة والتحليل ، لما له من طراز فريد ، حيث يعد من الشواهد المهمة دينيًا وتاريخيًا وسياسيًا ، وأيضًا أثريًا ، وكذلك لغويًا (لوحة ١) (٧)، وينفرد هذا الشاهد الرأسي في أن صاحبه الأمير محمد نبيل ، كان يشغل منصبًا دينيًا وقضائيًا في القطر المصري ، وذلك في النصف الأول من القرن ١٣هـ / ١٩م .

ومن المعروف أن أول سلطة للقضاء (٨)، وتطبيق نصوص التشريع الإسلامي على الوقائع ، كان في عهد الرسول ﷺ ، فقد استمدها النبي ﷺ ، من المولى عز وجل في كتابه العزيز بقوله : (فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) (٩). ومما هو جدير بالذكر أنه من نتائج الفتح العثماني لمصر سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، كان السلطان يعهد برياسة القضاء لقاضي غير مصري يعين من قبل الباب العالي بالأستانة ، وبقي الأمر كذلك إلى وقت الاحتلال الفرنسي ، حين قلد الفرنسيون عالم مصري جليل ، هو الشيخ أحمد العريشي ، القضاء (١٠)، بين المسلمين بالمحكمة وذلك في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٣١هـ / ١٨١٥م ، ويعد هذا هو السبب الذي دفعني إلى الاهتمام بدراسة وتحليل شاهد قبر نُقش عليه اسم قاضي مصر من قضاة تلك الفترة الزمنية التي عُهد فيها بمنصب تولي القضاء للعثمانيين ، حيث يوضح هذا الشاهد بجلاء ، احتوائه على العديد من الألقاب الجميلة ، والصفات الحميدة لمفتي الديار المصرية ، وقاضي مصر الفتية ، جُمعت من حديقة كلمات اللغة العربية ، وبستان مفردات اللغة التركية ، وزهرات من اللغة الفارسية ، وذلك بما يتناسب مع المكانة الرفيعة والقدر العالي لهذه الشخصية الدينية المتبوأة منصبًا قضائيًا مهمًا (لوحة ٢) .

وهذا الشاهد الرأسى نُقش عليه عبارات جميلة ، وصفات حميدة ، وألفاظ بليغة ، وكلمات مرتبة فى اثنا عشرة سطر ، كل سطر داخل منطقة مستطيلة تشغل مساحة الشاهد كله ، وهو خلو من أية زخرفة اللهم القاعدة (لوحة ٣ ، شكل ١) ، وترتيبها كالآتى :

السطر الأول : هو الباقى

السطر الثانى : مفتى دوران اولان عاش افنديمزك أولدى (١١)

السطر الثالث : حفيدى بومير عدنه خرام ايلدى(١٢)

السطر الرابع : ذات(١٣) حسيب وجميل يعنى محمد نبيل اولدى

السطر الخامس : صلاح دليل خلد واروب الدكام (١٤)

السطر السادس : امير(١٥) سخندان ايدى فايق الأقران ايدى(١٦)

السطر السابع : ذات بر(١٧) عرفان ايدى نظم ونثر ده بنام(١٨)

السطر الثامن : قاضى مصر ايكن آه(١٩) روحى ايدوب(٢٠) وعزم راه(٢١)

السطر التاسع : قصر جنانى بناه(٢٢) ايليه رب الأنام(٢٣)

السطر العاشر : كلدى بو بالا(٢٤) لبيب سويلدى تاريخ فوت(٢٥)

السطر الحادى عشر : مير محمد نبيل جنتى قيلدى مقام (٢٦)

السطر الثانى عشر : ١٢٣٥

وترجمة(٢٧) أسطر وكلمات هذا الشاهد بالترتيب كالآتى :

السطر الأول : الله هو الباقى

السطر الثانى : عاش سيدنا الذى أصبح مفتى الدنيا (العصر)

السطر الثالث : وقد أصبح هذا الأمير سعيداً (متبخترا)

السطر الرابع : يعنى محمد نبيل أصبح شخصية ذات حسب ونسب جميل (أى أصل عريق)

السطر الخامس : لقد امتلك الصلاح ووصل إلى سجل الخلد (لقد أصبح صالح أعماله دليل خلده)

السطر السادس : كان أميراً للكلام ، وكان فائق الأقران .

السطر السابع : كان شخصاً مفعماً بالعرفان ، صاحب اسم فى النثر والنظم (أى أنه كان علماً فى نظم الشعر والنثر) .

السطر الثامن : آه ... أسلم الروح عندما كان قاضى مصر ، ونو عزم (عندما كان قاضياً لمصر كانت روحه سمحة ، ونو عزم)

السطر التاسع : فليسكنه رب الأنام (رب الوجود) قصر الجنات ، (يا إلاهى فلتجعل له قصراً فى الجنة)

السطر العاشر : فجاء تاريخ وفاة هذا الأمير اللبيب مذكوراً

السطر الحادى عشر : فاجعل الجنة مقام (مستقر) الأمير محمد نبيل

السطر الثانى عشر : سنة ١٢٣٥ (أى السنة الهجرية التى توفى فيها الأمير)

وتُعد كلمات السطر الحادى عشر بحساب الجُمل[٢٨] هى تاريخ وفاة الأمير محمد نبيل ، وبيانها كالآتى :

مير (م = ٤٠ + ى = ١٠ + ر = ٢٠٠) = ٢٥٠ +

محمد (م = ٤٠ + ح = ٨ + م = ٤٠ + د = ٤) = ٩٢ +

نبيل (ن = ٥٠ + ب = ٢ + ى = ١٠ + ل = ٣٠) = ٩٢ +

جنتى (ج = ٣ + ن = ٥٠ + ت = ٤٠٠ + ى = ١٠) = ٤٦٣ +

قيلدى (ق = ١٠٠ + ى = ١٠ + ل = ٣٠ + د = ٤ + ى = ١٠) = ١٥٤ +

مقام (م = ٤٠ + ق = ١٠٠ + ا = ١ + م = ٤٠) = ١٨١

إذن المجموع الكلى = ١٢٣٢

للاستدراك هناك : ا = ١ فى كلمة جناتى

ا = ١ فى كلمة أمير

ا = ١ فى كلمة ماقام

إذن يكون حساب الجُمل ١٢٣٥ ، هو ما ينطبق مع تاريخ الوفاة التى نُقشت على شاهد قبر الأمير . بالإضافة إلى الألفاظ الفارسية والتركية التى ورد ذكرها على شاهد هذا القبر .

فإن هناك بعض الألفاظ العربية المهمة التى يجب إيضاحها وتفسيرها عن شخصية الأمير محمد نبيل ، وهى مرتبة حسب ما جاء ذكرها ، ونُقشت كلماتها كالآتى :

مُفتى : هو اسم وظيفة دينية ، ذات مكانة رفيعة وقدر عالى ، حيث يُعد هو والصدر الأعظم من أكبر الشخصيات فى الدولة بعد السلطان (٢٩)، والمفتى هو الذى يفتى فى الأمور الدينية من فقه وشريعة وحديث ، وغيرها من العلوم الدينية ، لذا لابد أن يكون عالمًا متفقهًا فى كل هذه العلوم ، فهو الذى يفتى بإقامة الحق ، وإبطال الباطل ، ويرد على السائلين بخصوص الحلال والحرام(٣٠) .

كما أنه هو الذى تُعرض عليه المسائل العويصة التي قد تظهر عند تطبيق أحكام الشريعة ، ويتوجه إليه للحصول على حكم منه ، باعتباره رجل الشريعة المُكلف بإبداء الرأى فى العقوبات التى تطبق فى بعض الجنايات ، وهذا الذى يصدره من هذه الأمور الجنائية أو غيرها من المسائل المدنية يُسمى فتوى (٣١).

وبناءً على ذلك فهو المفسر الرسمى للشريعة الإسلامية فى الدولة ، وجرت العادة أن يخصص لكل إقليم رئيسى أربعة للمذاهب الأربعة ، بالرغم من أن المذهب الرسمى للدولة العثمانية كان هو المذهب الحنفى (٣٢).

وقد كان للقب المفتى فى العصر العثمانى شأن كبير ، حيث نُعت به كبار العلماء والقضاة ، وأطلق هذا اللقب على شيخ الإسلام باستانبول فى عهد مراد الثانى ، كما أطلق عليه أيضًا لقب مفتى الأنام فى عهد بايزيد بيلدرم رابع سلاطين آل عثمان ، وذلك للإشراف على جميع العلماء والقضاة ونواب الشرع (٣٣).

وترجع أهمية المفتى فى هذه الفترة إلي كثرة الفتاوى التى اعتمدت عليها قوانين الدولة العثمانية حتى أنه قد أنشىء له فى عهد سليمان القانونى مكتب خاص عُرف بـ (فتوى خانه) لمساعدة المفتى فى إعداد قراراته (٣٤).

وقد كان الإفتاء وظيفة يُعين لها من قبل ولى الأمر أى السلطان العثمانى بالباب العالى ، ومن بعده الوالى المصرى (الباشا) ، وبالرغم من ذلك فللمفتى الحق فى إصدار فتوى بعزل الباشا نفسه ، ولم تكن تلك قاعدة ، فقد كان من سلطة السلطان أن يصرف صاحب اللقب ، عن منصبه حين لا يتجاوب معه ، وهى سلطة لجأ إليها كثير من السلاطين العثمانيين (٣٥).

ومما هو جدير بالذكر أن مفتي القاهرة كان يُعين من قبل شيخ الإسلام أستانبول ، وكان يطلق عليه أيضًا شيخ الإسلام ، وهو لقبًا فخريًا وليس وظيفيًا ، مثلما كان يُعين المفتيون فى جميع ولايات الدولة ، ومن ثم فقد كان يطلق عليهم هذا اللقب على غرار مفتى أستانبول (٣٦).

أما عن أول من لُقِّب بإفتاء السلطنة الشريفة بالديار المصرية ، فهو أبى السرور البكرى ، والذى لُقب أيضًا بشيخ الإسلام ، كما يذكر ابنه فى نزهته الزهية (٣٧). كما لُقب به العديد من علماء الأزهر ومشايخ الإسلام (٣٨).

وقد ورد كثيراً ذكر لفظ المفتى فى الكتابات الأثرية ، كلقب مركب مثل " مفتى المسلمين " ، و " مفتى الشرق " و " مفتى الفرق " (٣٩)، ومنا على شاهد هذا القبر " مفتى العصر أو الدنيا".

أفندى : كلمة يونانية الأصل ، عامية الاستخدام من افنديس Efendis ، مأخوذة من الكلمة القديمة Aventus ، وهو من الألقاب الفخرية (٤٠)، دخلت فى اللغة التركية الأناضولية فى وقت مبكر ، واستعملها الترك فى القرن ٧هـ / ١٣م (٤١)، وهذه الكلمة تُعنى السيد والصاحب والمالك والولى (٤٢)، وقد استعملها محمد الفاتح بهذا المعنى " أنا السيد العظيم"(٤٣) وقد استخدم هذا اللقب الفخرى لأصحاب الوظائف الدينية والمدنية ورجال الشريعة والعماء ، وكان لقبًا رسميًا لضباط الجيش العثمانى حتى رتبة بكباشى (٤٤).

ولا غرو فى أن العثمانيين كانوا يستعملونه لقبًا للرجل يقرأ ويكتب ، ولقبًا لبعض كبار الموظفين ، ومن ثم كان لقبًا لرئيس الكُتاب " رئيس أفندى " ، وله ديوان خاص يعرف " ديوان افنديسى " (٤٥)، ولقاضى استانبول (استانبول أفنديس) (٤٦)، أى أفندى استانبول ، وكذلك كان لقبًا للأمراء أولاد السلاطين ، كما أطلق على مشايخ الإسلام .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا اللقب أطلقه الترك على رؤساء الديانات الأخرى ، حيث لُقب به حايم ناحوم أفندى عندما كان حَاخامًا فى استانبول ، ثم عين فيما بعد حاخامًا على يهود القاهرة(٤٧) ومن الطريف أن لقب أفندى كانت تُلقب به أيضًا النساء فى العصر العثمانى ، فيقال " خانم أفندى " ولزوجة السلطان " قادين أفندى " (٤٨).

وقد شاع لقب أفندى فى البلاد التى خضعت للنفوذ العثمانى ، حيث استخدم فى مصر لقبًا فخريًا لنقيب الأشراف ، وفى ذلك يذكر الجبرتى (٤٩)، فى أحداث ١٢٣٤هـ فيقول " عمر أفندى نقيب الأشراف " .

كما كان يطلق على القاضى لقب أفندى فى مصر العثمانية (٥٠)، كما يذكرها الجبرتى فى أحداث ١٢٣٥هـ فيقول " وقع الاختيار على محمد أفندى الأسيوطى قاضى أسيوط " (٥١)، وأطلق كذلك على الكثير من المهن والوظائف ، التى كان يشغلها الموظفون المصريون فى العصر العثمانى منها الدفتردار والروزنامجى وأمين عيار الضربخانة (٥٢).

ويكفى للاستدلال على المكانة العالية والسمو الرفيع للقب أفندى فى العصر العثمانى ، أن أطلق المصريون على محمد على باشا " أفندينا " (٥٣)، وأيضًا على الباشوات الذين تولوا الحكم قبله . ومما يؤكد هذا ما ذكره المستشرق الفرنسى " لانكريه "(٥٤) " بأن الأفندية فى مصر يتمتعون بكثير من الاحترام ، بسبب نزاهتهم وتعليمهم ، وتبعًا لتقاليد هذه البلاد ، وكان أغلبهم يتكلمون اللغة التركية بخلاف لغة بلادهم التى يعرفونها جيدًا ، وكل من هؤلاء يمتلك ثروة ، تضعه فى عداد الطبقة الميسورة " .

وقد شاع استخدام هذا اللقب كما يظهر في النقوش الكتابية فى القرن ١٣هـ / ١٩م ، وخاصة على شواهد القبور العثمانية بمدافن مدينة القاهرة (٥٥)، والغي لقب أفندى فى تركيا سنة ١٩٣٤م ، ويطل استعماله فى مصر بعد سنة ١٩٥٢م(٥٦).

مير : تحريف للفظ أمير ، والأمير هو ذو الأمر أو المتسلط ، وتستخدم هذه اللفظة كاسم وظيفة أو للدلالة علي طبقة أو رتبة أو كلقب فخرى (٥٧)، وقد وردت كلمة أمير فى الحديث كثيرًا، وترسم هذه اللفظة اليونانية " أمير أو أمار أو أميراس ، وفى اللاتينية أميرانوس أو أميراليوس ، وينطق بها فى الفارسية عادة مير (٥٨).

وقد استخدم هذا اللقب فى بداية عصر محمد على بنفس استعماله فى العصر العثماني ، وذلك لقبًا لكبار رجال الدولة ، وأحيانًا كثيرة كان يرد هذا اللقب مخففًا بصيغة " مير " ، كما استخدم بعد ذلك لقبًا لأفراد الأسرة المالكة ، من الرجال والنساء على حد السواء (٥٩)، ووردت هذه الكلمة بدلالات مختلفة فى الكتابات الأثرية على الآثار العربية والإسلامية .

ذات بر وعرفان : ذات أو ذو ، صاحب أو مالك ، وجمعها ذوات ، وقد استعمالها الأتراك ببعض التحريف فى معانيها الأصلية إلى معان مجردة أو اصطلاحية ، وبالرغم من ذلك فهى متصلة بالمعنى الأصلى (٦٠).

وقد ألحقت في تكوين كثير من الألقاب المركبة ، وكان هذا النوع من الألقاب شائعًا في العالم الإسلامي ، خاصة منذ أواخر القرن ١٢هـ / ١٨م ، واستمر هذا اللقب فى القرن ١٢هـ/١٩م بنفس المعنى والمضمون الذى استعمل به طوال العصور الإسلامية (٦١).

والبر هو الصلة والخير والجنة والسعة فى الإحسان ، وجمع هذه الكلمة أبرار وبررة (٦٢)، وقد ورد ذكر كلمة البر فى كثير من الآيات القرآنية (٦٣)، وإضافة بر وعرفان إلى ذات تُعنى أن صاحبه تمتع بصلة البر والخير والعرفان مع الناس فى حياته الدنيا ، ومع الله فى دنياه وآخره ويكفى للدلالة على ذلك ، أن تُذكر كلمة البر صراحة فى الكثير من سور القرآن الكريم .

قاضى : من المعروف أن أول سلطة للقضاء فى الإسلام كانت فى عهد الرسول ﷺ (٦٤). حيث استمد النبى ﷺ نصوص التشريع الإسلامى على الوقائع من المولى عز وجل ، فى كتابه الكريم بقوله [فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ] (٦٥).

وقد كان يشترط فيمن يُولى القضاء شروطًا كثيرة وهى أن يكون حرًا ، عاقلاً ، بالغًا ، مسلمًا ، عادلاً ، وأن يكون سليم السمع والبصر (ويجوز للقاضى أن يكون ضريرًا) ، وأن يكون عالمًا بالأحكام الشرعية ، عارفًا بأسرار التشريع ، مجتهدًا لا مقلدًا غيره فى تفسير أو تأويل ، وأن يكون رجلاً (٦٦)، وذلك لأن القضاء من المراتب العظيمة الأهمية ، التى لها مساس بحرية الأشخاص وبأموالهم وبدمائهم .

والقاضى اسم لوظيفة ، عُرفت فى الدولة العباسية ، وكذلك فى عصر الغزنويين ، ومن ثم انتقلت إلى السلاجقة ومنهم إلى الأتابكة (٦٧)، بينما استعمل كلقب فخرى فى نهاية العصر الفاطمى ، حيث كان يطلق على الكُتاب والعلماء وموظفى الدولة المدنيين ، سواء أكانوا يشغلون وظيفة القضاء أم غيرها (٦٨).

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الوظيفة استخدمت رسميًا فى مصر ، منذ عصر صلاح الدين الأيوبى فكان صاحبها يحضر بدار العدل ، ويصاحب السلطان فى سفره ، مع قضاة الشافعية والمالكية والحنفية وليس بينهم الحنابلة (٦٩).

أما فى العصر المملوكى ، فقد قام القضاة فى هذا العصر بدور مهم فى المجتمع ، إذ امتدت اختصاصاتهم إلى مختلف أنواع القضايا المدنية والجنائية ، وكانت جلسات المحاكم تُعقد فى دور القضاء ، فإن لم توجد فإنها تُعقد عادة فى المساجد (٧٠).

وقد عُرفت وظيفة القضاء فى الدولة العثمانية منذ عصر أورخان ، بينما كان الاهتمام الأكبر برجال القضاء فى عهد السلطان محمد الفاتح ، حيث كان يحرص حرصاً خاصاً على حسن اختيارهم من المضلعين فى الفقه والشريعة والمتصفين بالنزاهة والاستقامة ، وأن يكونوا موضع احترام الناس ، وأن تكفى رواتبهم كفاية تامة ، سداً لسُبل الإغراء والرشوة (٧١)، فلم يكن للقاضى المرتشى عند الفاتح من جزاء غير القتل العنيف الزاجر " (٧٢).

ففى سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م ، حدث تغيير كبير فى النظام القضائى المصرى فى العصر العثمانى حينما بعث السلطان سليمان القانونى (٧٣) – والذى عُرف بالقانونى لازدياد حركة الفتوحات الإسلامية وكذلك لازدياد حركة التقنين فى عهده – من استانبول ، بمرسوم يقضى بإبطال القضاة الأربعة الذين بمصر ، ويقتصر الأمر علي أربعة نواب ، من كل مذهب نائب لا غير ، وكل نائب يقتصر على اثنين من الشهود لا غير ، وأن هؤلاء النواب الأربعة يكونون فى المدرسة الصالحية دائمًا ، وأن لا يُعقد عقداً ولا يوقف وقفًا ولا تُكتب وصية ولا عتق ولا تُكتب إجازة ولا حُجة ولا غير ذلك من الأمور الشرعية حتى تُعرض على قاضى العسكر بالمدرسة الصالحية دائمًا .

فلما وقف ملك الأمراء على مرسوم السلطان سليمان ، أرسل يقول للقضاة الأربعة : اصرفوا الرسل عن أبوابكم ، والنواب قاطبة والوكلاء ، والزموا بيوتكم إلى أن يحضر قاضى العسكر .. فامتثلوا ذلك " (٧٤).

وسرعان ما حضر جلبى العثمانى إلى القاهرة فى سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م بمرسوم سلطانى من قبل الباب العالى باستانبول ، ليكون بذلك أول قاضى عسكر للديار المصرية ، وكان من أتباع المذهب الحنفى ، لكونه المذهب الرسمى للدولة (٧٥)، ونستدل من هذا بأن المهمة الموكلة للقضاة فى إقامة العدالة فى مصر ، مرتبطة بالهيئة القضائية الإسلامية التى مقرها القسطنطينية (٧٦).

أما عن هذا القاضى فقد حصل لأهل مصر منه غاية الضرر للرجال والنساء ، ووقع منه أمور شنيعة ، وصفها ابن إياس(٧٧) بقوله " ما تقع من الجهال ولا من المجانين ، فتزايد حكمه بالجور بين الناس ... حيث فتك بالناس فتكًا ذريعًا " ويسترسل فى وصفه قائلاً " وقد جمع بين قبح الشكل والفعل ، فإنه كان أعور بفرد عين بلحية بيضاء ، وقد طعن فى السن ، وكان قليل الرسمال من العلم ، أجهل من حمار ، لا يدرى شيئًا من الأحكام الشرعية " .

ولا غرو أن بلغ عدد نواب القضاة الأربعة ست وعشرين نائبًا ، عينهم قاضى العسكر جلبى وأناب عنه القاضى صالح العثمانى الحنفى (٧٨)، حتى وصل عدد نواب القضاة الأربعة " عن المذاهب الأربعة " فى نهاية العصر العثمانى بمصر ست وثلاثين قاضيًا بما فيهم قاضى العسكر المكلف بإدارة شئون القضاء فى القاهرة ، والذى يعتبر القاضى الأول فى الإقليم ، وكل هؤلاء القضاة كانوا يتبعون القسطنطينية مباشرة ، وللأسف فإنهم كانوا يجهلون لغة البلاد بما فيهم قاضى العسكر ، الذى كان يستعين بتراجمة يقرأون له النصوص ويترجمونها كما يدلو لهم (٧٩).

وعلى الرغم من القانون الذى أصدره سليمان القانونى ، يقضى بتجريم بيع وظيفة القضاء، إلا أن ذلك لم يكن معمولاً به ، فى أواخر الحكم العثمانى ، فقد كانت وظيفة قاضى العسكر ، تشترى من القسطنطينية ، ويدفع التزامها إلى رئيس قضاة الأناضول وشيخ الإسلام ، وكذلك وظائف القضاة الست والثلاثون (٨٠).

وهكذا حرص العثمانيون على عثمنة القضاء المصرى ، وذلك بأن ظل تعيين قاضى القضاة أو كما كان يسمى بقاضى العسكر ، يتم بقرار من السلطان العثمانى بناءً على اقتراح شيخ الإسلام ، وفى حالة خلو المنصب من شاغره ، لم يكن من سلطة والى مصر أن يعين قاضيًا ، وإنما يعين قائمقام لقاضى العسكر ، حتى يرسل الباب العالى بالأستانة قاضيًا (٨١).

وقد كان نتيجة طبيعية لذلك من هذا النوع ، أن كل قضاة مصر فى العصر العثمانى كانوا غرباء على البلاد التى عليهم أن يمارسوا فيها وظائف على مثل هذه الدرجة من الأهمية والمكانة (٨٢). وظل الأمر كذلك إلى أن عهد الفرنسيون لعالم مصرى جليل برئاسة القضاء سنة ١٢٣١هـ ، هو الشيخ أحمد العريشى (٨٣)، وللأسف بعد جلاء الفرنسيين عن مصر ، عادت الأمور إلى سابق عهدها ، واستمر ذلك إلى أن قطعت انجلترا علاقة مصر بالدولة العثمانية فى سنة ١٩١٤م(٨٤) . أما عن اختصاصات ومهام قاضى العسكر فهى تنحصر فى :

الفصل فى القضايا ، اختيار أئمة المساجد ، إدارة الأوقاف الخيرية ، تقسيم التركات ، تحصيل الرسوم المقررة على بيع ونقل الملكيات ، ولهذا فقد نظمت مصاريف القضاء ووضع لها رسومًا ونسبًا تئخذ من قيمة الأشياء موضوع النزاع ، ولكن للأسف كان هناك بعض القضاة لم يتمتعوا بعرف وأخلاق الوظيفة القضائية ، فكانوا يغالون فى فرض رسومًا أكبر من المقرر ، وأحيانًا إتاوات ورشاوى (٨٥).

وقد كان القضاة يلقبون بلقب أفندى فى مكاتباتهم ، ومن ثم كان السلطان يخاطبهم مخاطبة رسمية بلقب " أقضى قضاة المسلمين ... " ، كما تنعتهم بعض الوثائق بشيخ الإسلام(٨٦). وهناك أيضًا مجموعة متنوعة من الألقاب السامية والمراتب العالية والصفات الغالية التى ألحقت بهم (٨٧).

قصر جنانى : أى ساكن قصور الجنان ، وقد ورد هذا اللفظ أحيانًا بالتركية " جنتمكان أى ساكن الجنان " وأحيانًا أخرى بالعربية ، وعبارة " ساكن الجنان " وهى أسلم وأصوب ، ولكن كما هو معروف أن الكلمة التركية كانت منتشرة ودارجة مجرى الاصطلاح الرسمى المعتبر (٨٨).

وقد كان هذا اللقب يطلق على سلاطين آل عثمان بتركيا ، وأسرة محمد على بمصر ، على نقوش شواهد قبورهم فى القرن ١٣هـ / ١٩م ، والمراد هنا التمنى والدعاء بدخول الجنة ، وأن يكون من ساكنيها ، ومن خلال الأمثلة التى وردت عليها هذه العبارات الدعائية ، وتلك النقوش الكتابية يتضح أنها أطلقت عليهم بعد وفاتهم (٨٩).

اللبيب : فعيل من اللُب وهو العقل ، وكان من ألقاب رجال الدولة المدنيين ، ولابد أن يكون كل من المفتى وكذلك القاضى صاحب فكر ورجاحة عقل ، أى أن من يتولى منصب الإفتاء والقضاء يتمتع بتلك الصفات الحميدة (٩٠).

المقام : فى اللغة اسم لموضع القيام ، ولفظ المقام ورد فى القرآن الكريم بهذا المعنى ، يقول المولى عز وجل فى كتابه [إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا] (٩١)، وهو أحد ألقاب الكناية المكانية (٩٢)، استخدم للإشارة إلى صاحب اللقب تعظيمًا له عن التفوه باسمه .

وقد استعمل هذا اللقب منذ أوائل العصر الأيوبى للسلطان أو من هو فى مكانته ، وظل محتفظًا بمنزلته الرفيعة حتى نهاية العصر المملوكى (٩٣)، ويُعد أقدم استخدام له على نقش رخامى باسم " المقام الشريف " للناصر محمد بن قلاوون ، وأيضًا بنفس الصيغة بمدفن السلطان قايتباى (٩٤). أما فى العصر العثمانى فقد استخدم بمدينة القاهرة ، على النصوص التأسيسية بصيغة " المقام الشريف " لقبًا للسلطان سليمان القانونى ، منقوشًا على سبيل وكتاب خسرو باشا سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م ، ولقبًا لمحمود باشا والى مصر من قبل الدولة العثمانية ، على نقش بمسجد المحمودية سنة ٩٧٥هـ/١٥٦٧م (٩٥).

ومن ثم فقد صار هذا اللقب من أرفع الألقاب ، وكان يطلق فى أول الأمر على الخليفة بصيغة الجمع " المقامات الشريفة " ، واستمر هذا اللقب محتفظاً بمنزلته الرفيعة طوال العصور الإسلامية ، حيث كان يستعمل للسلطان أو من فى منزلته ، ورُتب هذا اللقب ترتيبًا تنازليًا إلى " المقام الشريف " ، " المقام الكريم " ، " المقام العالى " ، " المقام " (٩٦). ورتبه القلقشندى(٩٧) ترتيبًا آخر " المقام الأشرف " ، " المقام الشريف " ، " المقام العالى " .

ويعلو قمة هذا الشاهد الرأسى شكل عمامة ضخمة(٩٨) (شكل ٢) منحوتة فى الرخام بهيئة طبيعية ، وكما هو معروف لدينا أن الرسول ﷺ ، كان يعتم بعمامة معروفة باسم السحاب أورثها أو تنازل عنها لعلى بن أبى طالب (رضى الله عنه) .

أما العرب قد عرفوا العمامة منذ القدم ، ويذكر مؤلف مجهول فى مخطوطة(٩٩) " أن السنية فى القلنسوة كونها منخفضة لا مرتفعة كما يلبسها بعض المتكلفين " ، ويذكر عن أم المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) " أن الرسول ﷺ كان يلبس قلنسوة بيضاء لاطئة ، أى ملاصقة للرأس " ، ويذكر أدى شير(١٠٠) عن القلنسوة فيقول " يحتمل أن يكون معربة عن الفارسية لكلمة بوش ، وهو مركب (كله) أى رأس ، ومن بوش أى غطاء ، والقلنسوة مأخوذة عن الفرنسية Qulunse ، وعن الفارسية " كلاه " .

ومن المعروف أن العمامة هى لباس الرأس ، وربما كُنى بها عن البيض أو المغفر ، والجمع عمائم وعُمام ، وعُم الرجل ، سُوِّدَ ، لأن تيجان العرب العمائم (١٠١)، ويذهب دوزى(١٠٢) فى معجمة بأن كلمة عُمامة ذات تفسير يُعنى كلمة Turbun ، أى المشمذ ، بينما يذكر ابن سيدة(١٠٣) " بأن العمامة ما يلاث على الرأس تكويرًا ، وقد تعمم بها واعتم ، وأنه لحسن العمة وقد عمته " .

ومما هو جدير بالذكر أن الفقهاء فى بلاد الأندلس كانوا يلبسون العُمامة بصورة عامة ، بينما كانت عُمامة القضاة أضخم كثيرًا من عُمامة العرب الآخرين ، ومن هذا الوضع كان يسمى الواحد منهم " المُتعمم أو المُعتم أو صاحب عُمامة أو رب العُمامة " ، ومن هنا يحرص المسلمون عامة ورجال الشريعة خاصة على حصر شرفهم فى عمائمهم ، ومازال حتى الآن يلبس الشرفاء وأحفاد الرسول ﷺ ، العمامة الخضراء (١٠٤).

ويعد لبس العمامة أو ارتداء غطاء الرأس والتعمم به خاص بالرجال وحدهم ، وفى الشرق بنحت شكل العمامة وتظهر وظيفة صاحبها على شاهد قبره ، وبذلك ترمز إلى نوعه أو جنسه ،

سواء كان رجل أم امرأة ، صغيراً أم كبيراً ، وبهذه الوسيلة أو تلك الطريقة ، يمكننا أن نميز بسهولة مشاهد قبور الرجال من مشاهد قبور النساء ، وذلك لأن شواهد قبور أضرحة النساء ينحت لها إكليل أو تاج أو عمامة ترمز للمرأة (١٠٥).

بالإضافة إلى جمال خط شاهد هذا القبر وأناقة تنسيقه ، فإن عناصره الطبيعية ورسومه الزخرفية التي زينت قاعدته ، قد لعبت دوراً فنيًا كبيراً وجماليًا عظيمًا ، حيث استعمل العثمانيون فى زخارفهم الأسلوب الواقعى ، فى الرسوم الزخرفية التركية فى أستانبول وكذا فى القاهرة (١٠٦).

وتُعد تلك المزهرية التى تزين قاعدة هذا الشاهد ، خير دليل على تمثيل الطبيعة النباتية أصدق تمثيل فى الزهور والورود وأهمها زهرة الرمان والسوسن وزهرة النسرين ، علاوة على الزخرفة بالطراز الشائع ، لفنون الباروك والركوكو ، التى تأثر بها العثمانيون فى أسلوبهم الزخرفى الجديد عن طريق أوربا فى عصر النهضة(١٠٧) (لوحة ٤ ، شكل ٣) .

هذا فضلاً عن البراعم والنوار والأفرع والأوراق النباتية الممتدة فى الإطار السفلى للشاهد، وكذلك العقود الصغيرة المفصصة ، يتدلى منها زهرة اللوتس فى الإطار العلوى للقاعدة ، وقد أضفى كل من الإطارين النباتيين شكلاً جماليًا ومنظراً طبيعيًا خفف إلى حد ما من جو وحشة القبور .

وخلاصة القول :

إن دراسة شواهد القبور العثمانية بتراكيبها الرخامية ، هى توثيق تاريخى وتسجيل أثرى، نظراً لاحتوائها على أحداث سياسية وأوضاع اجتماعية وحياة اقتصادية لفترة زمنية مؤرخة ومعلومة .

على الرغم من إجماع آراء الفقهاء ، واتفاق معظم العلماء ، على كراهية العناية بتشييد شواهد القبور ونقش كتابتها ، والتأنق فى زخرفتها ، إلا أن مسلمو العصر العثمانى لم يلتزموا بكل هذا .

لعبت اللغة الفارسية والتركية إلى جانب العربية ، على طراز الخط العثمانى دوراً رئيسيًا فى تسجيل كثير من النصوص التذكارية ، والعبارات الدعائية ، والألقاب الفخرية ، والأنساب العائلية على شاهد قبر هذا القاضى العثمانى .

من المعروف أن أول سلطة للقضاء ، وتطبيق نصوص التشريع الإسلامى على الوقائع ، كان فى عهد الرسول ﷺ ، فقد استمدت من الكتاب العزيز والمصحف الشريف .

لقد عمل السلطان سليمان القانونى على عثمنة القضاء فى مصر ، حيث أصدر مرسومًا فى سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م ، يقضى بأن يكون قاضى قضاة مصر عثمانيًا ، يبعث من استانبول إلى القاهرة وبذلك فإن المهمة الموكلة للقضاة فى إقامة العدالة بمصر ، مرتبطة بالهيئة القضائية الإسلامية التى مقرها القسطنطينية .

لقد ظل قاضى القضاة فى مصر عثمانيًا ، يُرسل من قبل الباب العالى بالأستانة إلى القاهرة ، إلى أن عهد الفرنسيون فى سنة ١٢٣١هـ / ١٨١٥م ، برئاسة القضاء لقاضى مصرى هو الشيخ أحمد العريشى .

مما يؤسف له أن كثيرًا من القضاة العثمانيين ، كانوا يجهلون اللغة العربية محادثة وكتابة، مما جعلهم يستعينون بتراجمة يقرءون لهم النصوص ، ويترجمونها كما يحلو لهم .

مما يؤسف له أيضًا ، أن كثيرًا من قضاة هذا العصر لم يتمتعوا بعرف وأخلاق الوظيفة القضائية فكانوا يغالون فى فرض رسومًا أكبر من المقررة على القضايا ، وأحيانًا كانوا يتقاضون إتاوات ورشاوى .

لقد كان قاضى مصر ، الامير محمد نبيل ، من قبل السلطنة العثمانية بتركيا ، يتمتع بشخصية ذات حسب ونسب ، أى ذات أصل عريق ، وسمعة طيبة ، وأعمال خالدة فى نظم الشعر وكتابة النثر ، حتى قيل عنه أنه كان أميرًا للكلام وفائق الأقران فى عصره ، ومن ثم فقد استحق كل هذا الثناء والإطراء على شاهد قبره ، الذى نقش عليه تلك الصفات العديدة ، والأخلاق الحميدة بكل اللغات العربية والتركية والفارسية .

لقد تبوأ هذا القاضى العثمانى – الأمير محمد نبيل – بالقطر المصرى ، عدة مناصب منها دينية وهو مفتى العصر ، ومنها قضائية وهو قاضى مصر ، كما أنه تمتع بألقاب كثيرة منها فخرية ، ومنها وظيفية ، وذلك فى النصف الأول من القرن ١٣هـ / ١٩م .

لقد توفى الأمير محمد نبيل سنة ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م ، وهو يشغل منصب قاضى مصر وذلك فى عهد محمد على باشا .

لقد استعمل الفنان فى زخرفة نهاية هذا الشاهد ، الأسلوب الواقعى من حيث العناصر النباتية الممثلة طبيعيًا أصدق تمثيل ، هذا إلى جانب الأسلوب المحور فى زخرفة الطراز الرومى والهاتاى .

لقد لعبت الزهرية الممتلئة بالزهور الطبيعية ، وعلى جانبيها الحزم النباتية ، وبها عناقيد العنب داخل منطقة محددة ، دورًا رئيسيًا فى زخرفة القاعدة الرخامية لهذا الشاهد .

وضحت جلية زخرفة العقود الصغيرة مفصصة الشكل ، بأعلى القاعدة الرخامية لشاهد قبر الأمير محمد نبيل ، على هيئة ستارة تتدلى منها حزم نباتية صغيرة بشكل زهرة اللوتس ، مما أضفى على الشاهد جوًا زخرفيًا جميلاً ، خفف من وحشة القبر .

لقد استخدم الفنان حساب الجمل فى تأريخ وفاة صاحب شاهد قبر الأمير محمد نبيل ، إلى جانب ذكر التاريخ الهجرى كتابة .

لقد لعبت زخرفة العمامة دورًا مهمًا ، فى معرفة نوع شاهد القبر فى العصر العثمانى بمصر وبرزت أهمية هذه الزخرفة ، فى نقش شاهد قبر الأمير محمد نبيل ، حيث عبرت تعبيرًا صادقًا عن المنصب الوظيفى المهم الذى تبوأه هذا الأمير وهو قاضى مصر .

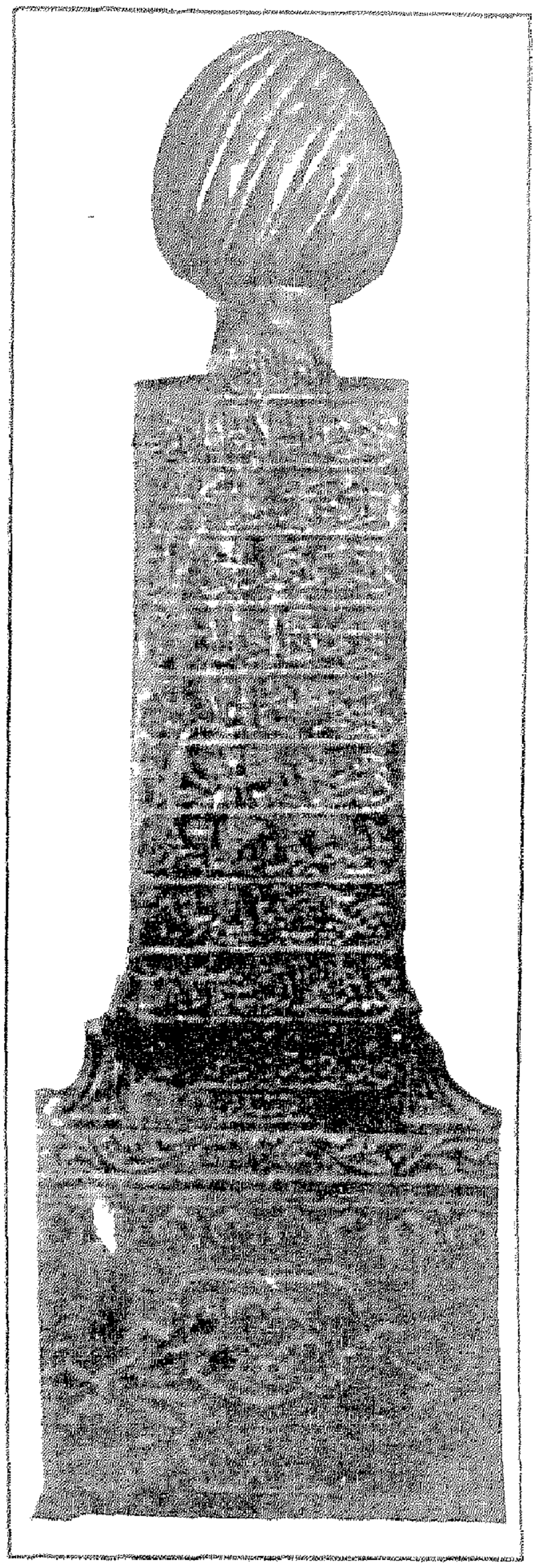

اللوحة (١) : تركيبة رخامية لشاهد قبر الأمير محمد نبيل قاضى مصر فى العصر العثمانى محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، برقم ٢٠٥٨٨ " لم يسبق نشره "

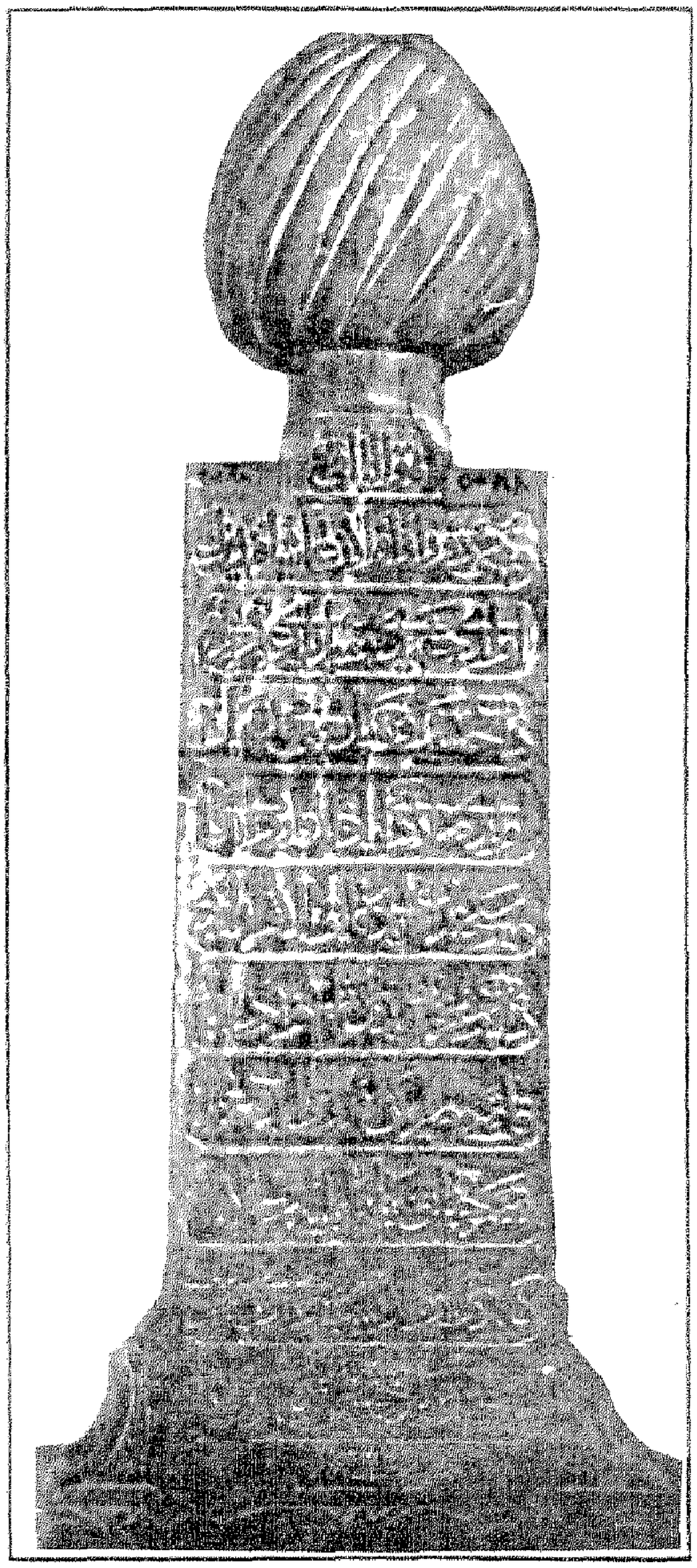

اللوحة (٢) : شاهد قبر الأمير محمد نبيل ، تعلوه عمامة كبيرة ، رمز قاضى مصر فى العصر العثمانى

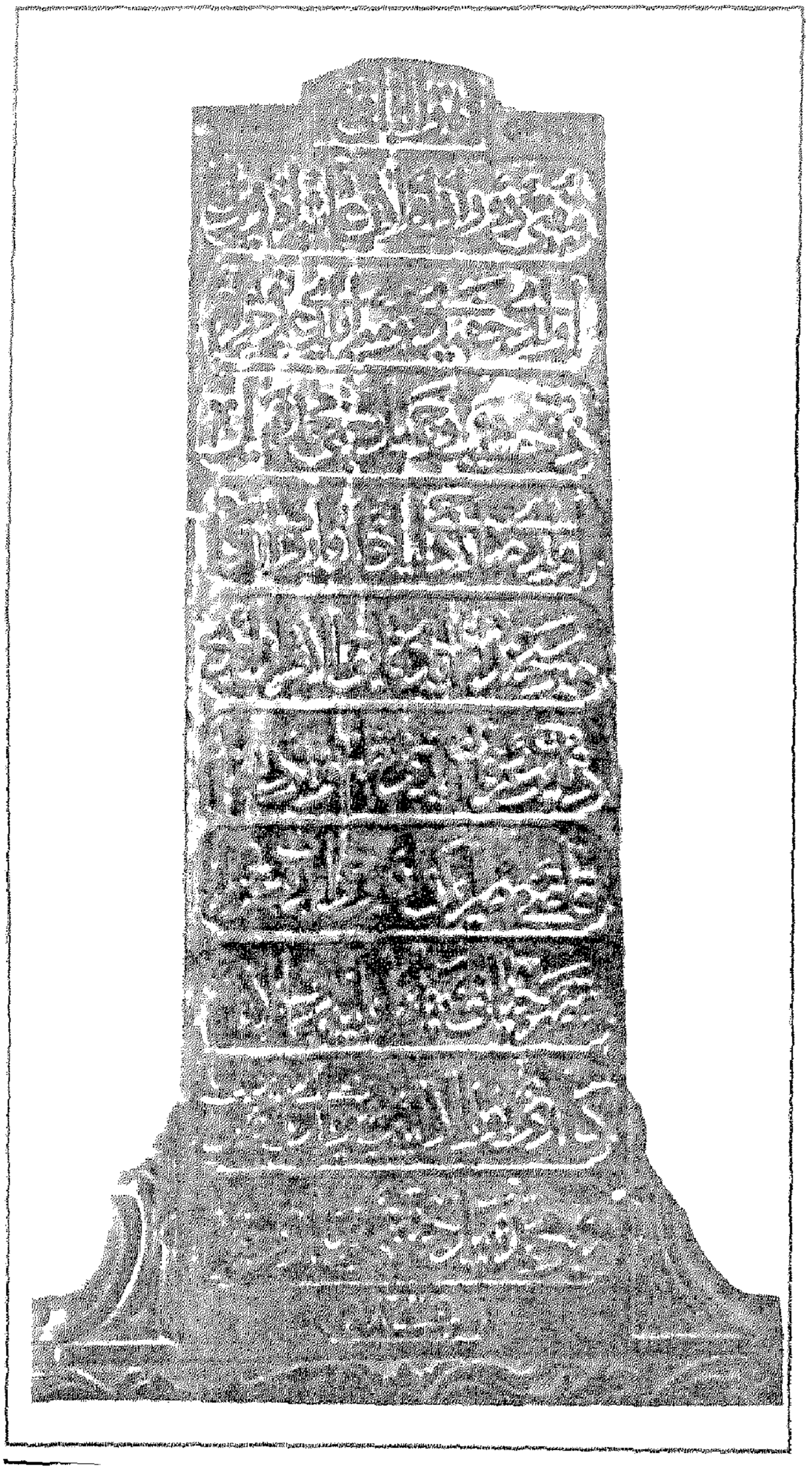

اللوحة (٣) : نقش شاهد قبر الأمير محمد نبيل
باللغة التركية والفارسية والعربية

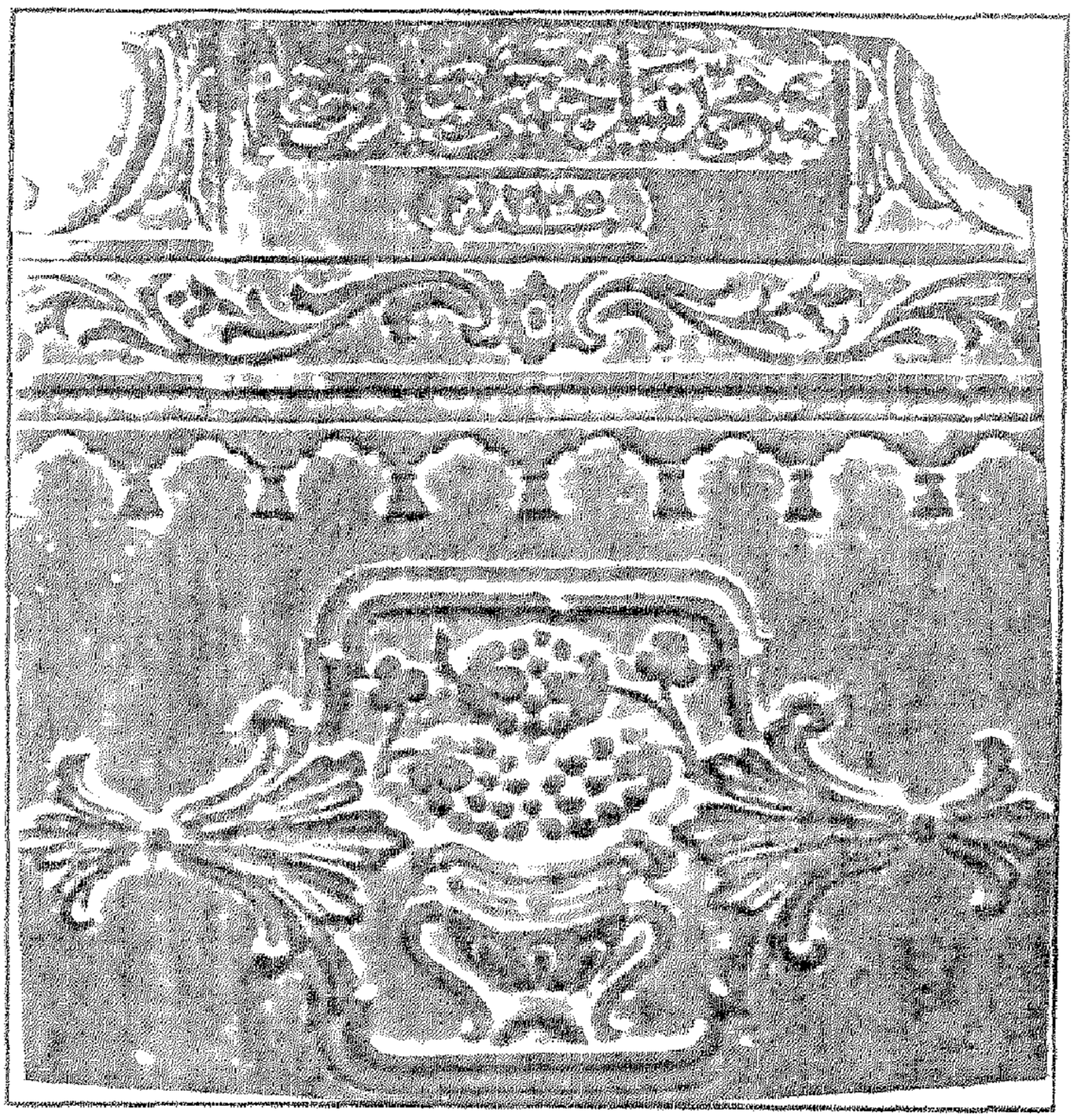

اللوحة (٤) : الزخرفة النباتية للتركيبة الرخامية لشاهد القبر السابق ،
ممثلة فى زخرفة الباروك والروكوكو

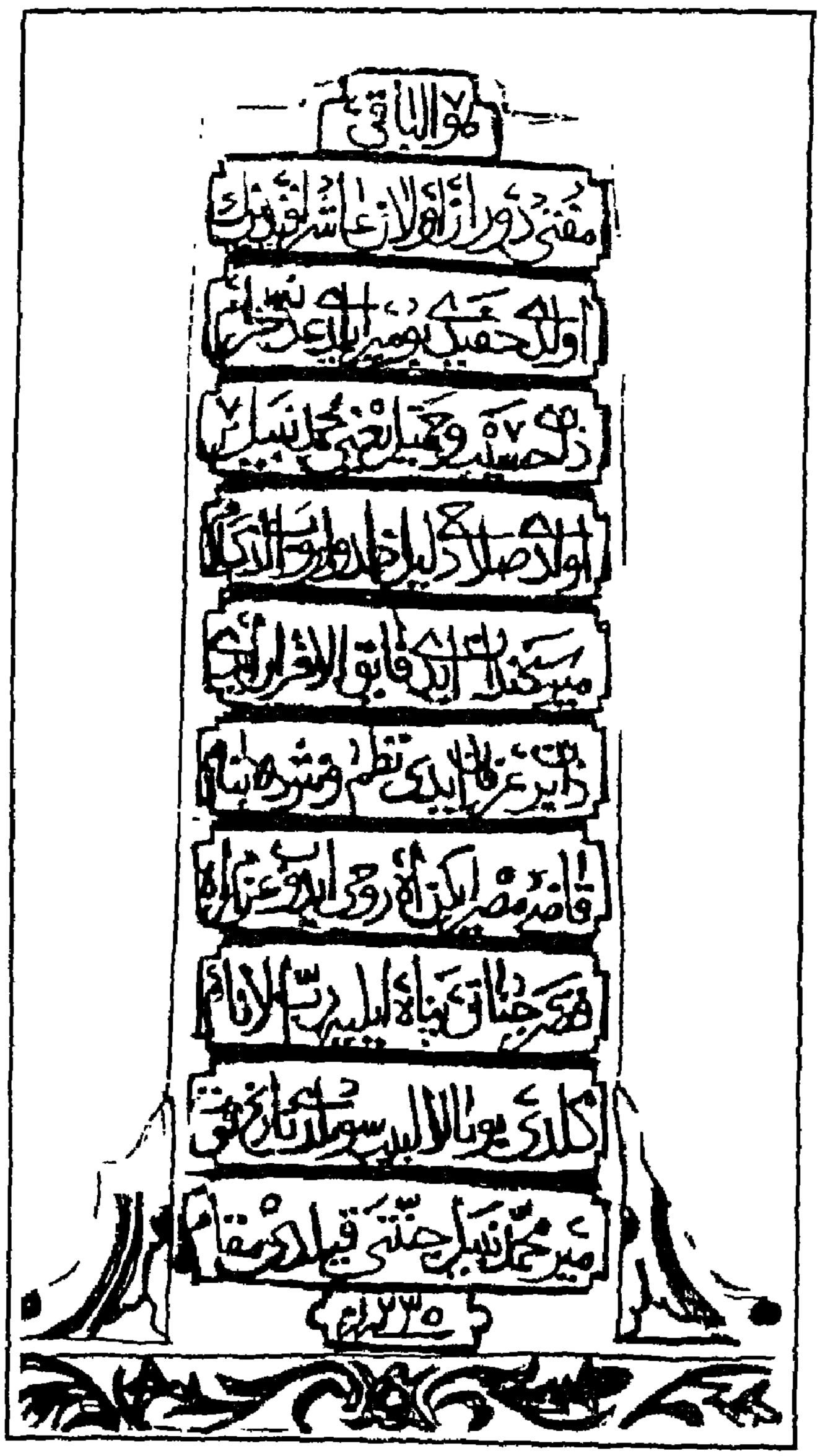

الشكل (١) : يبين البحور الاثنا عشر لشاهد قبر قاضي مصر محمد نبيل

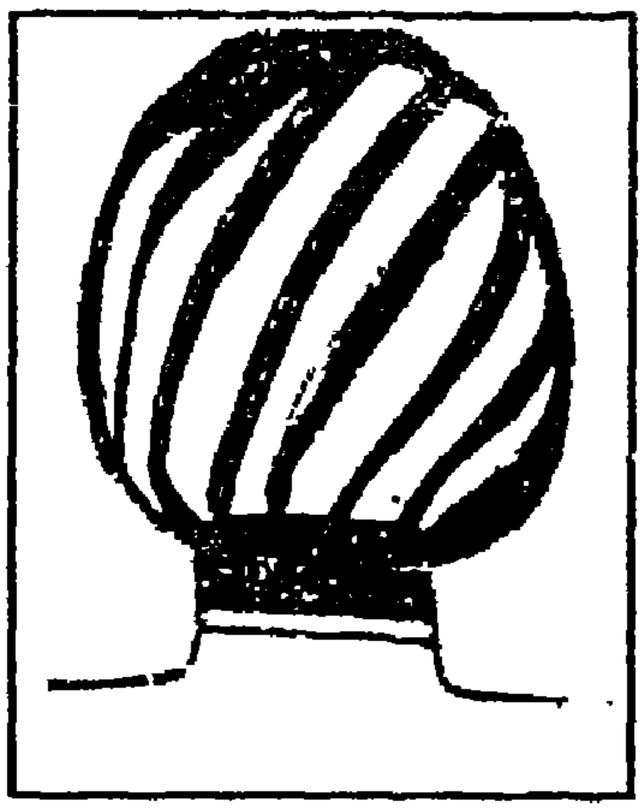

الشكل (٢) : يبين زخرفة عمامة قاضى مصر فى العصر العثمانى
ممثلة على شاهد قبر الأمير محمد نبيل

الشكل (٣) : يبين زخرفة قاعدة شاهد القبر السابق ، بالزخارف
النباتية التركية من الباروك والروكوكو

الهوامش

١ – مصطفى شيحة ، شواهد قبورر إسلامية ، ص ٩ .

٢ – مما هو جدير بالذكر أن لفظ مشاهد (مشهد) ، قد استخدم لأول مرة عند الشيعة عند مقتل الحسين بن على " رضى الله عنهما " ، حينما أخفوا الرأس لكى لا تستخدم فى التشهير بالخليفة يزيد بن معاوية، ومن ثم ثار باقى آل بيت الإمام على ، ضد خلفاء بنى أمية ، وخشى آل بيت على ، على أن يظهروا قبورهم حتى لا تُنبش ولهذا أخفوها ، فلما هدأت الأمور أظهر الشيعة قبور الأئمة السابقين ، وسموها مشاهد ، لأن الجميع شهدوا على صحة دفن الإمام على ، فى هذا المكان ، ومن هنا جاءت تسمية مشهد على القبور . مصطفى شيحة ، المرجع السابق ، ص ١٠ .

٣ – سعاد ماهر ، مدينة أسوان وآثارها فى العصر الإسلامى ، ص ٢٢ ، لوحة ٤ .

٤ – مصطفى شيحة ، نفس المرجع السابق ، ص ١٠ – ١١ .

٥ – مايسة داود ، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية ، ص ٧٧ .

٦ – الرخام MARBLE ، ضرب بلورى من الحجر الجيرى متماسك مدكوك لدرجة تسمح بصقله صقلاً شديداً ويكون عادة أبيض أو رمادياً ، ويقتصر وجود الرخام فى مصر فى الصحراء الشرقية ، كما سجل وجوده فى عدة أماكن فى هذه الصحراء ، وفى موضع قريب من ساحل البحر الأحمر ، يوجد نوع من الرخام الرمادى السكري اللون ، وأيضاً فى جبل الرخام الذى يقع شرق إسنا ، فى الطريق بين النيل والبحر الأحمر ، يوجد نوع من الرخام عديم اللون استعمل فى العهود الإسلامية . لوكاس ، المواد والصناعات ، ص ٦٦٦ .

٧ – رقم السجل : ٢٠٥٨٨ ، ارتفاع الشاهد بالقاعدة ٢٠٨سم ، عرض الشاهد ٣٨سم ، ارتفاع القاعدة : ٦٦ سم ، سمك البدن : ٨٦سم ، لم يسبق نشره .

٨ – عطية مشرفة ، القضاء فى الإسلام ، ص ٧٩ .

٩ – سورة المائدة ، آية ٤٨ .

١٠ – الجبرتي ، تاريخ الجبرتى ، جـ٤ ، ص ٣٥٥ – ٣٥٦ ؛ شفيق غربال ، ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية ، مج٤ ، جـ١ ، ص ٢٣ ، حاشية ١ .

١١ – مفتى دوران : مفتى العصر أو الدنيا – اولان : الذى (تركية الأصل) – افندیمزك : سيدنا (تركية الأصل) – اولدى : أصبح (تركية الأصل)

١٢ – بومير : هذا الأمير – عدنه : جنة عدن – خرام ايلدى : جعله سعيدا متبخترًا (فارسية الأصل) .

١٣ – ذات : أو بمعنى صاحب أو مالك ، وقد استعمل كثير من الألقاب المركبة ، وكان هذا النوع من الألقاب المركبة ، شائعًا فى العالم الإسلامى خاصة منذ أواخر القرن ٢هـ / ٨م ، واستمر استخدام هذا اللقب

١٣هـ / ١٩م بنفس المعنى والمفهوم الذى استعمل به طوال العصور الإسلامية : مصطفى بركات ، الألقاب والوظائف العثمانية ، ص ٣٠٩ .

١٤ – اروب : وصل أو أصبح – التكام : تقريبًا ... امتلك .

١٥ – أمير : استخدم هذا اللقب فى بداية عصر محمد على بنفس استعماله فى العصر العثمانى ، وذلك لقبًا لكبار رجال الدولة ، وأحيانًا كثيرة كان يرد هذا اللقب مخففًا بصيغة " مير " ، مصطفى بركات ، المرجع السابق ، ص ٣٠٠ – ٣٠١ .

١٦ – سخندان : مصدر فارسى بمعنى الكلام أو الحديث – أيدى : كان .

١٧ – پر : ممتلىء .. مشحون ... مُفعم.

١٨ – بنام : مشهور ... معروف ... صاحب اسم (ذو صيت أو شهرة).

١٩ – ايكن آه : عندما كان .

٢٠ – روحى أيدوب : روح سمحة.

٢١ – عزم راه : أى ذو عزم ،

٢٢ – بناه : كلمة فارسية بمعنى ملجأ ... ملاذ ... التجاء .. مسكن .

٢٣ – الأنام : ما ظهر على الأرض من جميع الخلق ، رب الأنام ، أى رب كل هذه المخلوقات ، ابن منظور ، لسان العرب ، جـ١ ، ص ١٥٤ .

٢٤ – كلدى : جاء – بالا : كلمة فارسية بمعنى عال .. رفيع .

٢٥ – سويلدى تاريخ فوت : ذكر تاريخ وفاته .

٢٦ – قيلدى مقام : فاجعل مقام (مستقر)

٢٧ – فى الحقيقة ، لقد تفضل مشكوراً الأستاذ الدكتور / الصفصافى أحمد المرسى ، رئيس قسم اللغات الشرقية (لغة تركية) ، بكلية الآداب – جامعة عين شمس ، وقام بمساعدتى فى ترجمة أسطر وكلمات هذا الشاهد على النحو الأكمل ، بالإضافة إلى تقديمه بعض القواميس التركية القديمة والعثمانية الحديثة ، والتى استعنت بها ، ومكنتنى من الترجمة على هذا النحو ، وهى :

– محمد على الإنسى ، قاموس اللغة العثمانية ، الدارى اللامعات فى منتخبات اللغات ، ١٢٣٠هـ / ١٩٠٢م

– شمس الدين سامى ، قاموس تركى ، دار سعادت ، ١٣١٥ – ١٣١٧هـ (رومية)

٢٨ – فتح الله محمد الصيرى ، كيفية حساب التواريخ الهجرية الميلادية القبطية ، ص ١١٦ – ١١٨ .

٢٩ – موسوعة وصف مصر ، جـ١ ، ص ١٩٣ ، حاشية ١ .

٣٠ – شفيق غربال ، المرجع السابق ، ص ٢٤ ؛ حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ٣ ، ص ١١١٦ – ١١٢٠ .

٣١ – موسوعة وصف مصر ، جـ١ ، ص ١٧٣ – ١٧٤ .

٣٢ – محمد نور فرحات ، القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ، ص ٨٦ – ٨٩ .

٣٣ – دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الأتراك .

٣٤ – أحمد عبد الرحيم مصطفى ، فى أصول التاريخ العثمانى ، ص ١١٤ .

٣٥ – ليلى عبد اللطيف ، المجتمع المصرى فى العصر العثمانى ، ص ١٠ .

٣٦ – مصطفى بركات ، الألقاب والوظائف العثمانية ، ص ١٣١ .

٣٧ – ابن أبى السرور البكرى ، النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، ص ٣١ : ليلى عبد اللطيف ، تاريخ مؤرخى مصر والشام ، ص ١٣٢ .

٣٨ – أحمد شلبى بن عبد الغنى ، أوضح الإشارات ، ص ٣٦١ – ٣٦٢ .

٣٩ – حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف على الاثار العربية ، جـ٣ ، ص ١١١٦ – ١١٢٠ .

٤٠ – شفيق غربال ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .

٤١ – أحمد السعيد سليمان ، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى ، ص ٢٠ .

٤٢ – أحمد تيمور ، الرتب والألقاب المصرية ، ص ٦٦ .

٤٣ – أحمد السعيد سليمان ، المرجع السابق ، ص ٢٠ .

٤٤ – دائرة معارف البستانى ، جـ٤ ، ص ٧٣ ؛ أحمد السعيد سليمان ، المرجع السابق ، ص ٢١ .

٤٥ – دائرة المعارف الإسلامية ، مادة رئيس الكتاب .

٤٦ – دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٤ ، ص ٨٧ .

٤٧ – أحمد السعيد سليمان ، المرجع السابق ، ص ٢٠ .

٤٨ – مصطفى بركات ، الألقاب والوظائف ، ص ٣٣٣ .

٤٩ – الجبرتى ، تاريخ الجبرتى ، جـ٤ ، ص ٤٢٧ .

٥٠ – موسوعة وصف مصر ، جـ٥ ، ص ٣٨ .

٥١ – الجبرتى ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٤٠ .

٥٢ – الجبرتى ، نفس المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٢١٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ .

٥٣ – أحمد السعيد سليمان ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .

٥٤ – موسوعة وصف مصر ، جـ٥ ، ص ٤٥ – ٤٦ .

٥٥ – مصطفى بركات ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ .

٥٦ – أحمد السيعد سليمان ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

٥٧ – حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ١ ، ص ١١٥ .

٥٨ – دائرة المعارف الإسلامية ، جـ٤ ، ص ٤٣٢ .

٥٩ – مصطفى بركات ، المرجع السابق ، ص ٣٠٠ – ٣٠١ .

٦٠ – عبد السميع الهراوى ، لغة الإدارة فى مصر ، ١٨٧ .

٦١ – مصطفى بركات ، المرجع السابق ، ص ٤٣ ، ٣٠٩ .

٦٢ – القاموس المحيط ، باب الراء ، مادة البر ، ص ٣٦٦ .

٦٣ – سورة البقرة ، الايات : ٤٤ ، ١٧٧ ، ١٨٩ : سورة آل عمران ، الآية : ٩٢ ؛ سورة المائدة ، الآية : ٢ .

٦٤ – عطية مشرفة ، القضاء فى الإسلام ، ص ٧٩ .

٦٥ – سورة المائدة ، الاية : ٤٨ .

٦٦ – عطية مشرفة ، المرجع السابق ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .

٦٧ – حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ٢ ، ص ٨٦٦ .

٦٨ – حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، ص ٤٢٤ .

٦٩ – القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص ١٩٢ .

٧٠ – سعيد عاشور ، مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، ص ٥٥٨ .

٧١ – بالرغم من الامتيازات المادية والأدبية التى تمتع بها القضاة فى العصر العثمانى ، إلا أن بعضهم تفشت بينهم الرشوة والفساد والجور والطمع ، ويؤكد ذلك ما ذكره الجبرتى فى أحداث ١٢٣١هـ ، الجبرتى ، تاريخ الجبرتى ، جـ٤ ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .

٧٢ – سالم الرشيدى : محمد الفاتح ، ص ٢٨٥ .

٧٣ – جرجى زيدان ، مصر العثمانية ، ص ١١٣ .

٧٤ – ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص ٤٥٣ – ٤٥٤ .

٧٥ – محمد نور فرحات ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

٧٦ – موسوعة وصف مصر ، جـ١ ، ص ١٩٣ .

٧٧ – ابن إياس ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٤٦٧ – ٤٦٨ .

٧٨ – ابن إياس ، نفس المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٤٦٩ .

٧٩ – موسوعة وصف مصر ، جـ١ ، ص ١٩٤ .

٨٠ – المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١٩٨ – ١٩٩ .

٨١ – محمد نور فرحات ، المرجع السابق ، ص ٦٧ – ٦٨ .

٨٢ – موسوعة وصف مصر ، جـ١ ، ص ١٩٩ .

٨٣ – الجبرتى ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ٣٥٥ – ٣٥٦ .

٨٤ – شفيق غربال ، المرجع السابق ، ص ٢٣ ، حاشية ١ .

٨٥ – موسوعة وصف مصر ، جـ١ ، ص ١٩٦ – ١٩٧.

٨٦ – ليلى عبد اللطيف ، والمجتمع المصرى فى العصر العثمانى ، ص ٢٢٠ ؛ أحمد شلبى بن عبد الغنى ، أوضح الإشارات ، ص ٢٨٨ ، حاشية ١١٧ .

٨٧ – مصطفى بركات ، المرجع السابق ، ص ١٤١ – ١٤٢ .

٨٨ – عبد السميع الهراوى ، لغة الإدارة العامة فى مصر ، ص ٥١٢ ، ٥١٤ .

٨٩ – مصطفى بركات ، المرجع السابق ، ص ٣٠٥ – ٣٠٦ .

٩٠ – حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص ٤٤١ .

٩١ – سورة آل عمران ، الآية : ٩٦ .

٩٢ – حسن الباشا ، المرجع السابق ، ص ٤٨٢ – ٤٨٧ .

٩٣ – القلقشندى : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ١٩ .

٩٤ – حسنى نويصر ، منشآت السلطان قايتباى الدينية ، ص ٤٨٢ – ٤٨٥ .

٩٥ – مصطفى بركات ، المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

٩٦ – حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص ٤٨٥ .

٩٧ – القلقشندي ، المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٩٨ .

٩٨ – ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بمدينة القاهرة ، بشاهد قبر مسجل برقم ١٢٦ ، تزخرف قمته عمامة قاضى أو رجل دين ذو شأن كبير من العصر العثمانى ، وهى مضلعة وتشبه عمامة قاضى مصر الامير محمد نبيل ، ووجود العمامة بكلا الشاهدين ، يوضح مدى مهابة وأبعاد مكانة رجل الدين فى هذا العصر .

Wiet, Catalogue du Musee Arabe du Cairo, PL.XXXI.

٩٩ – مؤلف مجهول ، رسالة فى بدعة القلنسوة ، ورقة ٨٧ .

١٠٠ – آدى شير ، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ، ص ١٢٨ .

١٠١ – أحمد مطلوب ، معجم الملابس فى لسان العرب ، ص ٨٨ .

١٠٢ – دوزى ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ص ١٩٢ .

١٠٣ – ابن سيدة ، المخصص ، جـ٤ ، ص ٨١ – ٨٢ .

١٠٤ – دوزى ، المرجع السابق ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

١٠٥ – دوزى ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

١٠٦ – اوقطاى أصلان آبا ، فنون الترك وعمائرهم ، ص ٣١٨ .

١٠٧ – سعاد ماهر ، الخزف التركى ، ص ١١٦ .

اللوحات

اللوحة (١) : تركيبة رخامية لشاهد قبر الأمير محمد نبيل قاضى مصر فى العصر العثمانى محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، برقم ٢٠٥٨٨ " لم يسبق نشرة".

اللوحة (٢) : شاهد قبر الأمير محمد نبيل ، تعلوه عمامة كبيرة ، رمز قاضى مصر فى العصر العثمانى .

اللوحة (٣) : نقش شاهد قبر الأمير محمد نبيل ، باللغة التركية والفارسية والعربية .

اللوحة (٤) : الزخرفة النباتية للتركيبة الرخامية لشاهد القبر السابق ، ممثلة فى زخرفة الباروك والروكوكو .

الأشكال :

الشكل (١) : يبين الاثنا عشر لشاهد قبر قاضى مصر محمد نبيل .

الشكل (٢) يبين زخرفة عمامة قاضى مصر فى العصر العثمانى ممثلة على شاهد قبر الأمير محمد نبيل .

الشكل (٣) : يبين زخرفة قاعدة شاهد القبر السابق ، بالزخارف النباتية التركية من الباروك والركوكو .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة :

- القرآن الكريم .

- مؤلف مجهول ، رسالة فى بدعة القلنسوة ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٦ ، ورقة ٧٨ ، رسالة ١٠٧ .

- ابن إياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق د. محمد مصطفى ، ٥ أجزاء ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م.

- ابن سيدة ، المخصص ، جـ٤ ، بيروت ، ١٩٦٦م.

- ابن بطوطة ، الرحلة ، دار صادر بيروت ، ١٤٢١هـ / ١٩٩٢م.

- أحمد شلبى بن عبد الغنى ، أوضح الإشارات فيمن ولى مصر من الوزراء والباشوات ، تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة ١٩٧٨م.

- الجبرتى ، تاريخ الجبرتى ، ٤ أجزاء ، دار الأنوار المحمدية بالقاهرة ، بدون تاريخ .

- القلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، جـ٦ ، ٤ ، ٧ ، دار الكتب المصرية ، ١٩١٩م.

ثانيًا : القواميس ودوائر المعارف والموسوعات :

- شمس الدين سامى ، قاموس تركى ، دار سعادت ، ١٣١٥ - ١٣١٧هـ (رومية)

- محمد على الأنسى ، قاموس اللغة العثمانية ، الدرارى اللامعات فى منتخب اللغات ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م .

- دائرة المعارف الإسلامية التركية ، أستانبول ، ١٩٦٧م.

- كتاب دائرة المعارف ، البستانى ، مطبعة دار المعارف ، بيروت ، ١٩٨٤م.

- موسوعة وصف مصر ، المصريون المحدثون ، تأليف الحملة الفرنسية ، ترجمة زهير الشايب ، جـ١ ، ٥ مهرجان القراءة للجميع ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٢م.

ثالثًا : المراجع العربية :

- أحمد السيد سليمان (دكتور) : تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، دار المعارف ، ١٩٧٩م.

- أحمد تيمور (دكتور) : الرتب والألقاب ، دار الكتاب العربى ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٠م

- أحمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور) : فى أصول التاريخ العثمانى ، دار الشروق ، طبعة أولى ، ١٩٤٨م.

- أحمد مطلوب (دكتور) : معجم الملابس فى لسان العرب ، مكتبة لبنان ، ١٩٩٥م .

- آدى شير : كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ، بيروت ، ١٩٠٨م.

- أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، استانبول ، ١٩٨٧م.

- جرجى زيدان : مصر العثمانية ، تحقيق د. محمد حرب ، كتاب الهلال ، العدد ٥١٧ ، ١٩٩٤م.

- حسن الباشا (دكتور) : الفنون الإسلامية والوظائف على الاثار العربية ، ٢ أجزاء ، القاهرة ٦٥ - ١٩٦٦م .

- الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، الدار الفنية للنشر ، ١٩٨٩م.

- حسنى نويصر (دكتور) : منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة ، مخطوط دكتوراه بكلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م.

- دوزى (رينهارت) : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة أكرم فاضل ، بغداد ، ١٩٧١م.

- سعاد ماهر محمد (دكتور) : مدينة أسوان وآثارها فى العصر الإسلامى ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية ، ١٩٧٧م.

- الخزف التركى ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية ، ١٩٧٧م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٤م .

- شفيق غربال (دكتور) : ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية ، مجلة كلية الآداب، مج٤ ، جـ١ ، مايو ١٩٣٦م.

- عبد السميع الهراوى (دكتور) : لغة الإدارة العامة فى مصر فى القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٦٣م.

- عطية مصطفى مشرفة (دكتور) : القضاء فى الإسلام ، شركة الشرق الأوسط ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٦م.

- فتح الله محمد الحميرى : كيفية حساب التواريخ الهجرية الميلادية القبطية ، مطابع دياب ، ١٩٨٤م.

- لوكاس (الفريد) : المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة زكى اسكندر ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩١م.

- ليلى عبد اللطيف (دكتورة) : المجتمع المصرى فى العصر العثمانى ، دار الكتاب الجامعى، القاهرة ، ١٩٨٧م .

- تاريخ ومؤرخى مصر والشام إبان العصر العثمانى ، الخانجى ١٩٨٠م.

- مايسه داود (دكتورة) الكتابات العربية على الآثار الإسلامية من القرن الأول حتى أواخر القرن الثانى عشرة للهجرة ٧-١٨م ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٩١م.

- محمد نور فرحات (دكتور) : القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ، تاريخ المصريين ١٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨م.

- مصطفى بركات (دكتور) : الألقاب والوظائف العثمانية ، دراسة فى تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثمانى لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية ، دار غريب ٢٠٠٠م .

- مصطفى عبد الله شيحة (دكتور) : شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٨م.

رابعًا : المراجع الأجنبية :

- ARSEVAN, les arts docoratifs turc

- WIET, catalogue du musee arabe du Caire, 1930 .